الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأوروغواي والأرجنتين والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

عظة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في ساحة سانتا كروز دي سوكّابامبا (Santa Cruz de Succhabamba)

السّبت 14 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، أهلًا وسهلًا بكم جميعًا في هذا الاحتفال، وشكرًا لسانتا كروز على هذا الاستقبال!

"هذا هو اليَومُ الّذي صَنَعَه الرّبّ فلْنَبتَهِجْ ونَفرَحْ فيه" (مزمور 118، 24). جئت اليوم، في هذا الاحتفال بالإفخارستيّا، كما عملت مرارًا، لأشارككم فرحي بكوني تلميذًا ومرسلًا للمسيح. نحن هنا في مقاطعة سانتا كروز (Santa Cruz) التّابعة لإقليم كاخاماركا (Cajamarca)، في سلسلة جبال الأنديز البيروفيّة، مع هذه التّلال الجميلة والمنحدرات والأوديّة الخصبة، في أرض تضرب جذورها في حضارة الأنديز، حيث ازدهرت إمبراطوريّة الإنكا، وفي مهد إيمان مسيحيّ عميق. لقد قطع كثيرون منكم مسافات طويلة ليكونوا هنا. فمنكم مَن قدم من جماعات ريفيّة، تاركًا وراءه عائلته وحقوله وأعماله. والطّريق الذي سلكتموه، فضلًا عن كونه رحلة عبر مسالك وعرة، هو حجّ إيمانيّ. فكلّ خطوة وكلّ مشقّة تعبّران، في الواقع، عن رغبة واحدة. هذه الرّغبة الواحدة هي: لقاء يسوع، الذي يُكرّم هنا في سانتا كروز بصورة سيّد الجنب المطعون، وجئتم إلى هنا للقاء المسيح والإصغاء إلى كلمته، وتناول جسده ودمه، وبالتغذّي من هذا الزّاد، نزداد قوّة في الرّجاء.

القراءة الأولى، المأخوذة من رسالة القدّيس يوحنّا الرّسول الثّالثة (راجع 3 يوحنّا 1، 5-8)، تتضمّن جزءًا من التوصيّات الموجّهة إلى مسيحيّ يُدعى غايُس. فبعد أن أشاد الرّسول بما عُرف عنه من صلاح وكرم، طلب منه أن يهتمّ بالمرسلين المتجوّلين، ويوفّر لهم ما يلزمهم في سفرهم، مذكّرًا بأنّهم، من أجل اسم المسيح، "خَرَجوا [...] ولَم يَأخُذوا شَيئًا مِنَ الوَثَنِيّين" (الآية 7). تكرّرت هذه العجيبة نفسها، قبل خمسة قرون، بين هذه الجبال، التي كانت شاهدة صامتة على ولادة الجماعات المسيحيّة الأولى، بفضل مرسلين قدِموا مرارًا، من دون مؤن أو توصيّات، ليعلنوا اسم يسوع ومحبّة سيّد العجائب في أندابامبا (Andabamba) وأمّه الطّاهرة سيّدتنا مريم العذراء.

منذ وصول المبشّرين الأوائل بالإنجيل، من توريبو دي موغروبيخو (Toribio de Mogrovejo) حتّى شهداء شيمبوتي (Chimbote)، لم تتوقّف بذرة الإنجيل قطّ عن الإنبات والإثمار في هذه الأراضيّ، ولو كان ذلك في صمت وتواضع، بعيدًا عن التّصفيق والتّكريم الكبير. هكذا نما الإيمان في جبال الأنديز نموًّا بسيطًا وأصيلًا، مرتكزًا على عيش القيم الإنجيليّة في الحياة اليوميّة، ومتجلّيًا في تقاليد واحتفالات تجمع بين القرى والأجيال، حتّى صار صفة مميّزة وأسلوب حياة لا يشعر فيه أحد بالوحدة أبدًا، حتّى أمام المحن. يمكننا أن نقول إنّ الودّ والفرح اللذين يميّزان مناطق كثيرة من جبال الأنديز يتجذّران في احترام وصايا الله ومحبّتها (راجع مزمور 111، 1)، ويعكسان "عطشًا إلى الله لا يعرفه إلاّ الفقراء والبسطاء" (القدّيس بولس السّادس، *البشارة بالإنجيل*، 48). لهذا تكلّم البابا فرنسيس، في الإرشاد الرّسوليّ، "فرح الإنجيل"، على التّقوى الشّعبيّة بوصفها قوّة تبشيريّة فعّالة، إذ إنّ "الإيمان الذي تلقّته الشّعوب تجسّد في ثقافة، ولا يزال ينتقل من جيل إلى جيل" (العدد 123). فهذه التّقوى تُعلي شأن أمور أساسيّة، مثل الأرض والعمل الشّريف والعائلة، وتقدّم مضادًّا حيويًّا نافعًا أمام السّطحيّة والنّزعة الاستهلاكيّة اللتين انتشرتا انتشارًا واسعًا في أيّامنا.

لذلك أودّ أن أستذكر بامتنان وشكر الكهنة والرّهبان والرّاهبات المرسلين الكثيرين، الذين بذلوا، على مرّ القرون، جهودًا سخيّة ومتفانية لنشر ملكوت الله بين هذه التّلال. ترتفع صلاتنا أيضًا، صلاة الشّكر، من أجل معلّمي التّعليم المسيحيّ الذين يهتمّون، في غياب الكهنة أحيانًا، ومن دون أن يخلو عملهم من التّضحيّات، برعايّة الجماعات الرّعويّة، فيرشدون الإخوة والأخوات إلى الاحتفال بليتورجيّا الكلمة، ويهيّئونهم لنيل الأسرار المقدسّة، ويزورون المرضى، ويلبّون مختلف الاحتياجات. لنصلّ بصورة خاصّة من أجل الذين دعاهم الرّبّ يسوع إليه، والذين لا يزال ذكرهم حيًّا في الجماعات الكنسيّة. فلولاهم لكانت البشارة بالإنجيل في هذه المناطق النّائية أمرًا بالغ الصّعوبة. ولنرفع الشّكر إلى الرّبّ يسوع من أجل هذا العدد الكبير من العلمانيين الملتزمين، كلٌّ بحسب طريقته، بإعلان البشارة، سواء هنا أم في مختلف أنحاء العالم.

في الإنجيل (راجع لوقا 18، 1-8)، أصغينا إلى يسوع وهو يتكلّم على أرملة، كانت في السّياق الثّقافي لذلك العصر رمزًا للهشاشة الاجتماعيّة والاتّكال على الآخرين. كانت هذه المرأة المسكينة، العاجزة عن الدّفاع عن نفسها والمظلومة، تلحّ في طلب إنصافها من قاضٍ لم يكن يخاف الله ولا يهاب النّاس، وظلّ غير مبالٍ بتوسّلاتها. ولم تنل حقّها في نهاية المطاف إلاّ بفضل مثابرتها.

هذا المثل، بحسب كلمات يسوع، يذكّرنا أوّلًا بأهمّيّة الصّلاة من دون أن نفقد عزيمتنا أبدًا. لكنه يدعونا أيضًا إلى أن نفتح عيوننا على ما يحيط بنا من أوضاع مؤلمة كثيرة. فالاستغاثة التي رفعتها الأرملة إلى القاضي: "أنصِفْني من خَصْمي" (الآية 3)، لا تزال، للأسف، تتردّد اليوم على شفاه رجال ونساء كثيرين، من دون أن تجد مَن يصغي إليها. هذا أمر يبعث على قلق بالغ، سواء لدى الكنيسة أم لدى المجتمع. لنفكّر، مثلًا، في هذه المناطق، بمعاناة الذين يُضطرّون إلى مغادرة وطنهم بحثًا عن مستقبل أفضل لأنفسهم ولأحبّائهم، في المدن الكبرى الواقعة على السّاحل، أو بالصّعوبات المرتبطة بتعاقب الأجيال، والنّاتجة عن انخفاض معدّلات الولادة، الأمر الذي يؤدّي إلى إفراغ القرى، أو بالتحدّي المتمثّل في التّوزيع العادل للمنافع النّاجمة عن ثروات الأرض ومواردها.

أمام هذه الصّعوبات الكثيرة، قد تساورنا تجربة الاستسلام لليأس أو الاستياء، بل وحتّى للعنف، غير أنّ العنف لن يكون أبدًا سبيلًا إلى التقدّم والسّلام. إنّ أرملة المثل تبيّن لنا أنّ الأنانية والظّلم والشرّ لا يمكن التغلّب عليها بالبطش، بل بالصّلاة والصّبر والمثابرة في التّنديد بما هو خاطئ، والمطالبة بقوّة، والعمل بجدّ من أجل تحقيق التّغييرات الضّروريّة، من دون أن نفقد الثّقة بالله أبدًا. إذّاك، كما يحدث عند قمّة جبل كوتورومي (Cerro Cotorumi)، سنرى السّماء من خلال الصّليب.

إنّ ما يمنح المرأة الواردة في الإنجيل القدرة على أن تثابر هو الإيمان، كما يدلّ على ذلك الكلام الذي اختتم به يسوع روايته: "ولكِن، متى جاءَ ابنُ الإنسان، أَفتُراه يَجِدُ الإيمانَ على الأَرض؟" (الآية 8). هناك ارتباط وثيق بين الإيمان والصّلاة والعمل. حيثما وُجد الإيمان، وُجدت الصّلاة، وحيثما وُجدت الصّلاة، وُجدت القدرة على الالتزام من أجل الآخرين. أنتم، يا أبناء هذه الأرض، تعرفون ذلك جيّدًا. فعلى الرّغم من الصّعوبات الكثيرة، لم تفقدوا أبدًا ثقتكم بالله، ولا ثقتكم بأنفسكم، بعونه. إنّه الإيمان الذي يجعل تطلّعاتكم ومشاريعكم كبيرة. في هذا الصّدد، أودّ أن أُثني على

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، الرّبّ يسوع يعرف الطّرق التي تسلكونها، وما تتحمّلونه من مشقّات، وما يساوركم من هموم، وما تواجهونه من تحدّيات. وهو يفهم تطلّعات الشّباب والشّابّات، ويلهم الشّيوخ حكمتهم، ولا يتخلّى عنكم أبدًا. فعندما تتوه النّفس ولا تعرف إلى أين تمضي، يكون هو الطّريق. وعندما تخور القوى، يكون هو الزّاد. وعندما يتسلّل اليأس إلى النّفوس، يكون هو مَن يبعث الرّجاء من جديد. لنطلب إلى سيّدتنا مريم العذراء الطّاهرة ألاّ تكفّ عن حمايتنا تحت ثوبها، وأن يجدّد الاحتفال بالإفخارستيّا الذي نحتفل به إيماننا جميعًا، وأن يعزّز التزامنا وتفانينا. ليباركم الرّبّ يسوع سيّد الجنب المطعون، الذي يُكرّم هنا في سانتا كروز بتقوى كبيرة، وليحفظكم ويحميكم، ويلهمكم دائمًا أفكارًا ومبادرات تعبّر عن الوَحدة والمحبّة والسّلام.

****

2026 ناكيتافلا ةرضاح – ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana